

عقيدة أوباما: تعبير عن رأي مسؤول أنهى خدمته أم ماذا؟

■ حميدي العبدالله

يعتقد كثيرون أنّ المواقف التي أطلقها الرئيس أوباما في حواراه مع مجلة «ذي أتلانتك» تعبر عن موقف رئيس أنهى خدمته، وهي لا تعبّر عن السياسة الرسمية للولايات المتحدة في السنوات المقبلة. وعلى الرغم من أنّ أوباما طمّح في ولايته الرئاسيتين، الأولى والثانية، ما بات يعرف بعقيدة أوباما، إلا أنّ الاعتقاد بأنّ آراءه غير ملزمة وغير معبرة عن السياسة الأميركية الرسمية هو الاعتقاد السائد لدى الكثيرين. علماً أنّ عقيدة أوباما هي تعبير عن المسلمات التي صاغتها لجنة بيكر. هاملتون على خلفية فشل الغزو الأميركي للعراق في تحقيق الأهداف التي كانت تسعى إليها الولايات المتحدة.

أوباما لها ثمرة لتحوّلات جذرية عميقة صبّغها الانحداد عنها، ومن أبرز هذه التحوّلات ما يُعَمِّع عليه أشخاص بارزون في النخبة الحاكمة الأميركية، من أمثال رئيس مجلس العلاقات الخارجية ريتشارد هاس الذي شغل منصب رئيس قسم التخطيط في الخارجية الأميركية في ولاية الرئيس جورج بوش الابن الأولى ومستشار الأمن القومي في إدارة الرئيس جيمي كارتر زغبنيو برجنسكي اللذين أكدا أنّ تفهّقور الدور الأميركي على المستوى العالمي يعود إلى أمرين أساسيين، الأمر الأول تراجم حصة الولايات المتحدة من إجمالي الناتج الدولي. المعطيات الإحصائية، بما في ذلك معطيات صندوق النقد الدولي تشير إلى أنّ كلّ الدول الغربية تساهم في إجمالي الناتج العالمي بحوالى 56 في المئة في حين أنّ إسهامها في النمو الاقتصادي العالمي لا يتجاوز 24 في المئة وبالتالي فإنّ هذه التحوّلات قادت إلى تغيير في توزيع القدرات الاقتصادية، وانتقال جزء من هذه القدرات من الغرب إلى الشرق، كما يقول برجنسكي، بما أنّ الاقتصاد قاطرة السياسة فبديهى أن تتأثّر قوة الدول بتأثّر والغرب المكلفة والمفاشلة، سواء في أفغانستان أو العراق أو ليبيا. وقد كَبِدَت هذه الحروب الولايات المتحدة والدول الغربية خسائر كبيرة، كما أنها أثرت على معدلات النمو بسبب الفوضى والاضطراب الشديد الذي يسميه كبير خبراء صندوق النقد الدولي بالتوتر الجيوسياسي الذي كان له تأثير كبير في إبطاء معدلات نمو الاقتصاد على المستوى العالمي.

من المعروف أنّ سياسات الولايات المتحدة على وجه الخصوص، تلعب مصالح الشركات الكبرى دوراً هاماً في رسم معالمها، وبات واضحاً أنّ مصالح هذه الشركات تتأثّر سلباً من جراء سياسة الفوضى والتوتر الجيوسياسي والمزید من الحروب، وهذه النتائج المترتبة عليها هي التي أضعفت معسكر الحرب داخل الولايات المتحدة وجعلت غالبية النخبة الأميركية تنحج إلى كبح جماح هذا المعسكر، ولعل نتائج الانتخابات التمهيدية للرئاسة الأميركية أفضل دليل على التبدل في مزاج النخبة الأميركية.

في ضوء هذا التغيير في مزاج النخبة الأميركية، فإنّ عقيدة أوباما، تتحوّل إلى سياسة جامعة أمثلتها المصالح الحيوية للولايات المتحدة، وبالتالي يصبّغ على الرئيس الذي يخلف أوباما نقض هذه العقيدة.

ماذا يريد بوتين؟

– أعلن الرئيس الروسي أنه أمر بسحب القوات الرئيسية الروسية من سورية وبقاء القاعدة البحرية واللجوية بذات المهّمات لتعمل كما في السابق.
– الحدود المرسومة للمساهمة العسكرية الروسية في الحرب لا يستطيع أحد التحقق منها طالما بقيت القواعد يمهّمتها ومؤمّنة، برا وبحراً وجوا، ولا يستطيع أحد أن يتهم روسيا بانها لم تنفّذ قرارها إذا بقيت الغارات والمهّمات مستمرة.

– توقيت الإعلان مع بدء المفاوضات السياسية في جنيف يظهر روسيا كطرف داعم للسلام والحل السياسي بين السوريين ويسحب موسكو كعنوان للجهود السياسية للسعودية وتركيا وجماعاتها السورية ويقول: ابحتوا عن غيرنا كميرز لهزيمتكم وقتلكم.

– الغرب الإنّ لا يستطيع التعامل مع الدور الروسي، كمطلب يريده ضمناً ويهاجمه علناً ويقول: ما لم يتم تسريع الحل السياسي تحت سقف القرارات الدولية فإنّ «داعش» و«الصدر» سيوكان المستفيدين ولا يستطيع أحد عرقلة الحل المُتفق عليه وتحميل روسيا أعباء الحرب على الإرهاب كأنها قضية موسكو وحدها.

– ميزان القوى العسكري لصالح الجيش السوري وحلفائه صار ثابتاً.
– التنسيق بين الرئيسين الروسي والاميركي يقود المعادلات والمباردات السياسية والعسكرية.

«التعليق السياسي»

حكاية غيفارا الشرق ... حسن نصرالله ...

عناق السّرّ الدفين والأقانيم الثلاثة ... الأب والابن وروح «القدس»

■ نارام سرجون

لسنا في حاجة إلى وضع كلام العرب في أنابيب اختيار وسبك الإحصاص والقويات ليعرفه وتقبله وفصل المصل عن العصل لتقبله لمعرفة تركيبه السري ومعانيه العميقة. وليست هناك ضرورة لتسخين وصهره لمعرفة طبيعة هذا المعدن الخسبين الذي يصنعه العرب ويصوبونه في بيانات خسيسة. بل دعونا نخصّص زمرة دمه وندخله إلى اختيار الفلسفة واللغة حيث يمكن تفكيك الشيء إلى أشياء ... من هنا يسال المنطق الفلسفي: ماهو الفرق بين منع الدعاة لحزب الله في حربه ضدّ «إسرائيل» وبين إعلانه منظمة إرهابية ضدّ «إسرائيل»، طالما أنّ منع الدعاة له كان من أجل دعم «إسرائيل» معنوياً وأنّ وصمه بالإرهاب كان من أجل دعم «إسرائيل» معنوياً؟ وما هو الفرق بين إعلان الحرب على السيد حسن نصرالله وإعلانها على جمال عبد الناصر الذي اتهمته السعودية بال كفر والرّدّة والزندقة، طالما أنّ الدعاة للانثين كان من أجل «إسرائيل» وماهو الفرق بين المؤامرة على سورية والمؤامرة على العراق والمؤامرة على ليبيا والمؤامرة على لبنان والمؤامرة على فلسطين، طالما أنّ كل المؤامرات التي اخترقت فيها دول الخليج سرا وعلنا كانت من أجل «إسرائيل» وفي سبيلها؟

على عكس كل من غضب وانفعل بشأن قرار العرب اعتبار حزب الله منظمة إرهابية، فإبنتي أنظر إلى الغضب بعين الغضب لأنه يدل على إنّ فهنا كما يحدث منذ عوفو لا يزال بدائياً وطفولياً ولا تزال في مرحلة ما قبل الدولة ما قبل الوعي. لكنّ يعني كان أكثر من عدم فهم أدوار ارتفاع عبار الكلام ومنسوب الاتهام والكيد لحزب الله، وهو في أي تحليل مؤشّر قوي جدا على أنّ العرب و«إسرائيل» قد أصابهم حال من هذا الحزب والحيرة وأعيتهم الحيلة في شأن التخلص من هذا الحزب....

لعلّ أجمل ما يمكن قراءته في «جموع» التحصير لصارمهم على إعلان الحرب على حزب الله هو أنّه أكثر قرار بدمّ عن عجز العرب و«إسرائيل» معا عن النيل من هذا الحزب...وفوق هذا يظهر عجز العرب كله عن استئصال هذا الحزب، ووصول الأمر بالقلق من اسم نصرالله أنّ صورته وعلم الحزب صارا ممنوعين في «فيسوك»، ويعتبر نشر أي صورة لها علاقة بنصرالله وحزب الله سبياً كافياً لاعتباره إساءة إلى مبادئ النشر وكفياً بإغلاق الحساب... تخيلوا إن صورة أوتفيل هنتر وصورة السباع أبو بكر البغدادي ليستا مسيئتين في الغرب ولا مستفزّان أحداً... لكنّ صورة نصرالله مسيئة ومخيفة وتهزّ عرش «فيسوك» والغرب يريد أن يمحو ذكره وصورته التي تحوّلت إلى أيقونة في عالم الإنترنت وهو يرى أنّ حسن نصرالله يتحوّل على أسحار هو العالم إلى «تشي غيفارا» لا يتحدث الإسبانية بل العربية ويضع على رأسه عمامة سوداء بلد البيرية ذات النجمة.

المؤامرة على السيد نصر الله لم تبدأ منذ عام 2011 بل بدأت قبل 16 عاماً، وتحديداً عام 2000 عندما وجدت «إسرائيل» والغرب أنّ لا مناص من الانقلاء لأول مرة في مواجهة حزب الله الذي يقوده السيد نصرالله... لم يكن الدور بريد من «إسرائيل» الانسحاب من لبنان من دون شروط بل أن تنسحب من جنوب لبنان إلى كل لبنان عبر اتفاقية من أحوات «كامب دايفيد» و«وسلو» و«وادى عربة» واضطرت «إسرائيل»، بسبب ذلك إلى تكرار ذلك في غزّة التي تعلمت من درس حزب الله أنّ العدو لايجب أن ينسحب إلى الأمام، فهذه أول مرة ترجع «إسرائيل» فيها إلى الوراء وهي التي اعتادت أن تنسحب إلى الأمام... «إسرائيل» انسحبت من سيناء ولكنها انسحبت إلى قلب مصر وامسكت بهمالخ «كامب دايفيد»، ومصر لا تزال تنصرف وكانها محتلة بغوات «إسرائيلية» منذ عام 1967 مهما حاول الساسة المصريون تلوين الحقيقة والتلاعب بجهود الانسحاب الذي خلت مصر، ولأبأنّ إلى قلت أن مصر كانت أكثر حرية عندما كانت سبأاً...كذلك انسحبت «إسرائيل» من غور الأردن إلى كلّ الأردن الذي تحوّل إلى قاعدة «إسرائيلية» وهدية ثوارية شرقية يدبرها ملك توراتي، وانسحبت من الضفة الغربية وفق اتفاق «أوسلو» لكنها دخلت فلسطين كلها لأول مرة وحلت محلها وصار رئيس فلسطين مثل رئيس بلديها «الإسرائيلية»، لكنّ «إسرائيل» بقيت في الأردن وليس تتمكّن من الدخول إلى سورية لأنّ الرئيس الراحل حافظ الأسد لم يكن يريد أن تدخل إلى كل سورية وتتدفّق من فوهة الجولان كما فعلت إلى كيناء والصفقة، ولكنه بعقيدة الدهاء السياسي هو من فتح على «إسرائيل» فوهة جنوب لبنان التي من تتمكّن من إغراقها في هذه الخندق... هذه الغزرة التي فتحتها الأسد على «إسرائيل» ليتدفّق منها العمل المبادول على أن تتدفّق «إسرائيل» علينا من فوهات السلام هي التي صدق لغياتها السيد حسن نصرالله ورفاقه، فكان نعم القائد وكأنت نعم المقاومة ... وحده حزب الله بقيادة السيد نصرالله قلب

البناء

«البناء» هو البناء

المعادلة «الإسرائيلية» القاضية بالانسحاب دوماً نحو الأمام، وكانت المعادلة الجديدة بعد ستين عاماً من الصراع أن المحتل ينسحب ويبتذر، وهذه المعادلة كانت رغم كل الاميالة الغربية والترحيب الفاتر والناقئ لانسحاب «إسرائيل» من جنوب لبنان مصدر هلع في الغرب لأنّ هذا يعني أنّ الغرب نفسه معرض لهذا المصير بالانسحاب إلى الغرب من كل مستعمراته في العالم المستضعف وقد رأى الناس درساً عملياً قدمه حزب الله وحسن نصرالله بأنّ إرادة العرب يمكنّ فيها، لذلك لوخط أنّ العرب بات مستعداً لتقديم أي ثمن مقابل دحر هذا الحزب الخطر والقائد الكاريزمي الساحر الذي يعلم العالم درساً خطراً جداً، إنه غيفارا الذي يتحدث العربية ويرتدي عمامة سوداء بدل البيرية ذات النجمة واسمه السيد حسن... ويلاحظ الجميع أنّ هزيمة «إسرائيل» والغرب في جنوب لبنان عام 2000 هي التي فتحت الباب للعلمانيين الجدد لعودة إلى اسطنبول، فلم تعد تنض ستان على تحرير الجنوب اللبناني حتى قبل الغرب، ولأول مرة منذ مئة سنة، بأن فوج راحة الخلافة الإسلامية في اسطنبول وكان ذلك أول ردّ عربي على حزب الله. ففي عام 2002 تمّ «إصالح» حزب الله والعدالة والتنمية في مشهد بريء عن صعود بريء وتمونذي لقوى إسلامية معتدلة يترّاق في تركيا بحركة ديمقراطية في محاكاة لبريق الإسلام الصاعد الذي قدمه حسن نصرالله) وأرغم الجيش التركي الذي كان يُسمّى (حامي العثمانيّة) على الصمت وربط المسائل كما كلاب الحراسة التي يراد ضبطها، وهو الجيش الذي رباها «ناتو» منذ خمسين سنة على أن يفتك بكل من يعيد إلى تركيا ذكرياتها الإسلامية العثمانية، إلا أنّ السيد حسن نصرالله كان أخطر من الخلافة ومن كل الخلفاء، فكان لا بد من إطلاق العدو الطبعي لحزب الله، أي النقيض المنهجي والتاريخي والعقائري العثماني العنصري الذي ينظر إلى المراسم الإسلامية والعربية عموماً والدرسة الشيعية تحديداً على أنّها دونه لأنّ العنصر الطوراني التركي هو الحامي للدين، والدين هو المنهز العنسي ينهكته العثمانية العنصرية فقط. من هنا نجد أنّ عملية إضاح الحركة الإسلامية في تركيا بدأت في نهاية التسعينات عندما تمّ اتخاذ القرار بأن «إسرائيل» لا تستعجل الانسحاب هذه المرة إلى الأمام بل إلى الوراء... ولأول مرة، وخلال سنتين وصل حزب العدالة والتنمية على عجل إلى الحكم في اسطنبول عام 2002 لتحويل الانتظار عن نموذج حزب الله الذي أتوفّل الفراع الديني السياسي في الجانب السني الذي مال بشدّة نحو نموذج انتصارات حزب الله الأبهية وكاريزما غيفارا العربي. كان لا بدّ من إيقاف هذه الموجة بموجة مضادة، وكان تكب الحراسة (حامي العثمانيّة) قد توفّق عن النباح والعض والاحتجاج والإقلاق وكان أمراً ما صدر بإمره بأن يربض مفعلي على قافضته الخلفيتين ينظر بصمت إلى القادمين الجدد (من الإسلاميين العثمانيين) إلى البيت التركي الذي بناه الأعداء الأزليين للجيش التركي ومصدر الخطر على الأمة التركية العثمانيّة وصاروا حياة قوة الجهاد الشيعي... وفيما هو يحضر المشهد الذي كبرى في البرلمان تلوي ذراع الجيش وتمتدّ نفسه.

مع تحضير المسرح التركي عام 2002 لإبعاد الستة عن نموذج حزب الله، دخل بوش العراق عام 2003 وعينه في الحقيقة على تجربة نثارين فريدبيد حزب الله والجيش السوري اللذين تأسس في العلاقة بينهما مثل علاقة «الأب والابن ويبنهما روح «القدس» في فلسطين، وهناك استولى لدى بوش على جيش صدام حسين وحرسه الجمهوري الذي انتفخ صدام من المحافظات البيضاء التي لم تنمر علىه يوماً... انتفاح من تلك المحافظات التي شكّلت المثلث السني بعدد من من الثورة الإسلامية الإيرانية وتأثيرها الشعبي، لكنّ بوش استولى على الجيش العراقي وحوّله إلى جيش من الصحوات لتبدأ حرب شعواء جهادية على الشيعية أمّان تصل طلائع هذه القوات إلى حزب الله أيقونة الجهاد الشيعي... وفيما هو يحضر المشهد الذي وصل من أجله، كان لا بدّ من أن يجرد السيد نصرالله المخيف من درعه الوافي القواني، أي الجيش السوري ومن أجل ذلك قرّر بوش قتل رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري عام 2005 من أجل أن يتكّن من الإقراء بالسيد نصرالله وحزبه، وطب القاتل بوش في الحال بخروج الجيش السوري ليقبى في نصرالله وحيدا وبلا معين لأنّ الحليف السوري ينظر خلفه على الحدود العراقية غزواً أميركيا في أي لحظة ولا يقدر على مد يد العون وهو خارج حدود لبنان... وعند هذه اللحظة القاطعة، حيث أعلن الجمهور السني ديناً جديداً للحزب الذي، واكتشف ظهر حزب الله بلحليف قريب وصار الأب بعدد عن الابن، عند هذه اللحظة انخرط المنطقة في الضربة الحاسمة التي من أجلها تجرّ بوش آلاف الأيامل جيوشه إلى المنطقة، وهي استئصال السيد حسن نصرالله وقتنه ونموذج حزبه التي أغلق فوهة التدفق «الإسرائيلي» نحو الأمام، فوعدت معركة طابحة في جنوب لبنان عام 2006، لكن المفاجأة أنّ كل هذا الإعداد من العراق إلى لبنان لم يهزم نصرالله وظهر الرجل على أنّه أصلب

كل هذا فُصل وخُرج الأب والابن من تحت الرماذ، ومن تحت الثيران الطائفة. وهذا الخروج المنظر سبعيني أنّ الإسلاميين الأتراك سقطوا معنوياً وأنّ نوموجهم لم يعد يخدع أحد وأنّ من أطلق المشاعر الطائفي مستحقّ به في تركيا نفسها، وأنّ العرب الذين أسقطوا الدعاة لحزب الله في حربه ضدّ «إسرائيل»، صاروا يسترهبون بـ«إسرائيل» على حزب الله ويصفونه بالإرهابي وعاولونه كما لو أنّ الجماعة العربية صارت كنيست يرفع شعار (من القدرات التي أنبل سنحارب عدو إسرائيل)...إنه الحزب الذي أزعب الغرب وأزعج العرب ...

ما أغضب العرب في قرارهم... هو بريدون محاربة حزب الله وأوباما يترجمهم بربنا بنفسه عن هذه المواجهة الربيحة مع هذا الحزب الذي هزّ العالم واكتسبت «الإسرائيلي» وعجز عنه شياطين العالم ودهاقنة السياسة... هل سيسطع الكنيست العربي؛ وإن كان هناك من أراد أحذمته القرف فرب تروسة السلاح الصاروخية المهدّلة لدى بوش الله التي تنسحق من بيانات العرب وتقول لهم إن سيدكم عجز عن خلخلة الجهاد الشيعي... وفيما هو يحضر المشهد الذي كبرى في العراق في شهر أيلول عام 2002 مع تحضير المسرح التركي عام 2002 لإبعاد الستة عن نموذج حزب الله، دخل بوش العراق عام 2003 وعينه في الحقيقة على تجربة نثارين فريدبيد حزب الله والجيش السوري اللذين تأسس في العلاقة بينهما مثل علاقة «الأب والابن ويبنهما روح «القدس» في فلسطين، وهناك استولى لدى بوش على جيش صدام حسين وحرسه الجمهوري الذي انتفخ صدام من المحافظات البيضاء التي لم تنمر علىه يوماً... انتفاح من تلك المحافظات التي شكّلت المثلث السني بعدد من من الثورة الإسلامية الإيرانية وتأثيرها الشعبي، لكنّ بوش استولى على الجيش العراقي وحوّله إلى جيش من الصحوات لتبدأ حرب شعواء جهادية على الشيعية

أمّان تصل طلائع هذه القوات إلى حزب الله أيقونة الجهاد الشيعي... وفيما هو يحضر المشهد الذي وصل من أجله، كان لا بدّ من أن يجرد السيد نصرالله المخيف من درعه الوافي القواني، أي الجيش السوري ومن أجل ذلك قرّر بوش قتل رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري عام 2005 من أجل أن يتكّن من الإقراء بالسيد نصرالله وحزبه، وطب القاتل بوش في الحال بخروج الجيش السوري ليقبى في نصرالله وحيدا وبلا معين لأنّ الحليف السوري ينظر خلفه على الحدود العراقية غزواً أميركيا في أي لحظة ولا يقدر على مد يد العون وهو خارج حدود لبنان... وعند هذه اللحظة القاطعة، حيث أعلن الجمهور السني ديناً جديداً للحزب الذي، واكتشف ظهر حزب الله بلحليف قريب وصار الأب بعدد عن الابن، عند هذه اللحظة انخرط المنطقة في الضربة الحاسمة التي من أجلها تجرّ بوش آلاف الأيامل جيوشه إلى المنطقة، وهي استئصال السيد حسن نصرالله وقتنه ونموذج حزبه التي أغلق فوهة التدفق «الإسرائيلي» نحو الأمام، فوعدت معركة طابحة في جنوب لبنان عام 2006، لكن المفاجأة أنّ كل هذا الإعداد من العراق إلى لبنان لم يهزم نصرالله وظهر الرجل على أنّه أصلب

أكثر رسوخاً، من هنا تأتي أهمية إعادة التذكير بتلك الثوابت ويهدأ نغمة لذكرى أبو العباس قيمة عملية وليس فقط وجدانية عاطفية. أهم وأول تلك الثوابت الراسخة أنّ قضية فلسطين ومهما كانت الظروف، ومهما بدا الواقع العربي سيئاً ومعاكساً تبقى قضية الأمة العربية المركزية، كان يرفض شعار يا وحدنا، وهذه المسألة تعود إلى روثيته وانتامته القومي العربي، فخطورة احتلال فلسطين كما هي في وعي الشهيد القائد أبو العباس العميق، لا تتنج وفق قناعة الراسخة من خسارة فلسطين على خطوطه ذلك، بل لأنه يرى أنّ الهدف الأعظم والأخطر تاريخياً من اغتصاب فلسطين هو الهيمنة على العالم العربي وتمزيقه ونهبه، وقد كان يلجّ ويعبر عن ذلك في خطاباته وكتاباته وأحاديثه بصورة لا تقل الغموض، فالكين الصهيوني من مغباة سمرطان في جسد الأمة العربية، واحتلال فلسطين هو مجرد راسر جسر للسطرة على تلك الأمة، وبالتالي فإنّ المشروع الصهيوني هو مشروع استعماري من اوله إلى منتهاه، وعليه فإنّ مواجهة هي مسؤولة الأمة، وانطلاقاً من ذلك فإنّ هدف توحيد الأمة العربية بقي ثابتاً لا يتزحزح في فكر الشهيد القائد أبو العباس، وانطلاقاً من هذا الثابت لم يكن يقارب أية قضية عربية من مطلق الأنفاز، بل من كون كل قضايا الأمة العربية هي قضاياها، هكذا تقاطعت الثوابت القومية في فكر الشهيد ومارسته السياسية مع ثوابته الوطنية الفلسطينية،

من دون أن يشكل ذلك أي تناقض لديه، وكل ذلك كان يتقاطع مع ثوابته الأيمية، انطلاقاً من أنّ مواجهة الاستعمار ووقو الاستغلا الطبقية (كمول وقوى اجتماعية ورجعية عربية وعالمية) هي مهمة الأمة أيضاً، وبالتالي فإنّ قضية فلسطين هي قضية وطنية قومية أيمية وإنسانيّة في ذات اللحظة، وهذا الموقف الذي أكدّه الشهيد القائد أبو العباس أثناء اعتقاله فهو كان يكتب لرفاقه برسائل تحمل لحن الثورة، ويطمئن فيها عن الانتفاضة والوضع الفلسطيني والقومية، وكان يؤكد أنّ المقاومة تحقّق الهزائم ولكننا الصهيوني في لبنان يتدفّق عن فلسطين رغم جراحاتها، بناء على كل ذلك كان يحدد الحكيم موقفه من دون التباس.

إنه أبو العباس الذي تميزت مسيرة فكاحه الوطنية

بمحطات نصليّة استثنائية، يشهد له أعداؤه قبل رفاقه، وقد تعامل معها بصلاية لا تعرف الهادئة، فمن البدايات وصولاً إلى غزوا لبنان، وبعد الخروج من لبنان، محطات بارزة في تاريخ قضيتنا الفلسطينية أكدت جميعها شموخ ولباس هذا الرجل الذي جسّد ما قاله دوماً «لا وجود للإنسان في قاموسي، ولا يستطيع التسليم بانتصار دائم للظلم». كل من عرفه طويلاً مراحل تضالّه أكد أنّه يمتلك إرادة فؤادية لا تؤثر فيها وحشية أدوات الاحتلال الرهيبة، وهو من قال أيضاً «تؤمنون أنّ تمردوا كل شيء» لكنكم لا تستطيعون تدمير إرادة المقاومة فبقا» هذه الإرادة التي صمدت على مدى عام من الاعتقال حتى تمّ اغتياله على أيدي قوات الاحتلال الصهيوني أميركي في العراق، كانت آخر وصايا لرفاقه ولكل الفصائل الوحدة والحفاظ على المقاومة، إنه صاحب مسيرة حافلة بالبطولات قصصاًها في خدمة شعبه ووطنه وقضيته بوعي مستنير وعزيمة لا تظفر، حيث نذر حياته من أجلها، ولكن يبقى السؤال: لماذا لم تنسج منظمة التحرير الفلسطينية إلى إعطاء هذا القائد أدنى واجبات عرفان الجميل من خلال تسامحة غير عادى أو حديقة صغيرة باسمه مع لافتة تزيّن ركناً صغيراً على شارع في فلسطين؟

خاتماً، لا بدّ من القول رغم تقديري واحترامي لكل وسائل الإعلام، هذا هو فارس فلسطين الشهيد القائد أبو العباس الذي كانت قواته فلسطين ويرتكز دوماً إلى الوعي وإلى الثقة بالناس، فهو لم يستن، ولم يخضع، بل واصل مسيرة العطاء التي وهب نفسه لها، هذه المسيرة التي يجيهاها العديد من أبناء فلسطين، كما يجيهاها العديد من أبناء هذه الأمة، فهي مسيرة أبطالنا العظماء الذين ملأوا مدرسة فكرية وثورية، ورسوا تاريخاً مشرقاً مع قادة تعلقوا نجومها في سماء فلسطين، لم يتعقوا سوى فلسطين الوطن والهوية والانتفاء، ترفعوا عن ثقافة التعصب والحقد، وزرعوا اشجار الوطنية لتنتج في صحارى قاحلة قوافل الشهداء.

■ * كاتب سياسي

الحقيقة المخفية على الدوام

لغاية في نفس يعقوب

■ د. سلوى خليل الأمين*

حين خلق الله الإنسان، خلقه من ذكر وأنثى، وجعلهما شركاء في الفعل الحياتي المتطوّر صعوداً عبر العصور، التي ما زالت في تقدم مستمرّ، بفعل العقل البشري الذي يؤدّي مهامه الإبداعية بمنتهى الدقة عند العديد من بني البشر، الذين تصدّروا مراحل تاريخ الامبراطوريات والأمم، خصوصاً في مندرجات الحقياء من العملية والعلمية والمعرفية والفكرية والثقافية وحتى المراسم والتشريفات وما إليها. لهذا من واجب الكاتبات الصحافي تسليط الضوء على أمور تجري في الوطن تحت أنظار الجميع دون حسيب أو رقيب.

لهذا، ساطرح اليوم خلال مقالتي الأسبوعية ثلاث قضايا مجتمعية وطنية، عل وعسى يلتفت إليها المسؤول ويعمل على معالجتها بالسرعة التي لا تتطلب عامين كرئاسة الجمهورية أو شهراً كسلسلة الفنايات، بل المطلوب إصدار تكاميم وزارية، وهذه باستعانة الوزير المختصّ العمل على إصدارها وتطبيقها من دون الرجوع إلى مجلس الوزراء مجتمعاً، لأنّ القانون اللبناني واضح بالنسبة إلى هذه المسائل.

1. كما هو معروف أنّ مراحل التطوّر الحياتي للإنسان ارتفعت تدريجياً من حياة الغابات إلى الحياة المدنية وصولاً إلى التمكن من وضع الشرائع والمراسم التي تحدّد أنظمة الحكم ووسائل التبادل والزيارات الرسمية، وما يتبعها من تشريفات بين الحكام وعلاقات الناس بعضهم البعض الآخر، خصوصاً عند إقامة المهرجانات والحفلات وما يتبعها من قواعد بروتوكولية تراعي قواعد السلوك المتبعة في الدولة وأصول المجاملات، التي تطوّرت عبر العصور وارتفعت إلى مراحل تنظيمية، عرفتها بعلم المراسم التي تحدّد الالتزام بالوقائع البرتوكولية عند إقامة المهرجانات والحفلات الكبرى، التي يحضرها كبار الشخصيات من رؤساء وزراء وسفراء ورجال دولة حسب التسلسل الوظيفي والإداري الذي يجب أن يراعى في تطبيقها نظام التشريفات الرسمي.

لهذا كله كان لعلم البروتوكول، الذي لا يمكن لأيّ دولة أن تتجاهله، مكانه الأرحب بين القوانين المرعية الإجراء، لهذا أوجدت الدول بمختلف أشكالها نظاماً ما يسمّى مديرة المراسم، التي باتت من ضرورات سير العمل في كل من رئاسة الجمهورية أو الديوان الأميري أو الملكي، إضافة إلى مجلس النواب ومجلس الوزراء، كما وزارة الخارجية التي هي رأس الدبلوماسية في كل دولة، بل هي المخوّلة الأولى حكماً في الإشراف على إدارة المراسم حسب الأصول في كل المناسبات الرسمية.

لهذا فإنّ في الدول قاطبة لا مجال للفقر فوق المراسم الرسمية في حال حضور الشخصيات الرسمية، إلا في لبنان حيث يأتي المسؤول الرسمي دون سابق إنذار كي يحتل المركز الأول، حتى لو كان مسؤولاً سابقاً وغير مدرج في لوائح البرتوكول الرسمي، والأغرب أنّ يأتيك شخص ممثلاً لرئيس أو مسؤول كبير ورتبته لا تخوّله تجاوز رتبة وزير حالي مثلاً، أو تأتيك زوجة رئيس أو مسؤول حكومي سابق وهي لا صفة رسمية لها وغير مدرجة حالتها في لوائح التشريفات، وتصرّ على تجاوز موقع وزير حالي أو نائب أو مسؤول كبير في الدولة، هنا تقع المشكلة ويخرج المسؤول السابق مزجراً ومعدباً ولا عنأ كل من نظم الاحتفال، لأنهم لم يحترموا قواعد الذي ما زال يحلم من دون وجه حق، حيث لا نعلم إلا الراقية عين تنتهيها ممثل رئيس الجمهورية أو النائب أو الوزير يعود شخصاً عادياً كما غيره من المواطنين لا يحق له صفة الفخامة أو السيادة أو الدولة أو المعالي أو السعادة وهرم جلا.

2. الكل يعلم أنّ لبنان في ما مضى كان مستعمرة فرنسية، وبالتالي كانت اللغة الفرنسية هي اللغة الأجنبية الثانية بعد اللغة العربية الرسمية، التي بنتا شهيد غربتها في الوطن الأمّ منذ زمن بعيد، وحقاليا أيضا حين معظم المواطنين يترنّون بلغة المستعمر الجديد، التي هي الإنكليزية، علماً أنّه في النصوص الدستورية استعمال اللغة الأمّ أمر ملزم للجميع مسؤولين ومواطنين، خصوصا في المعاملات الإدارية حتى لو كانت شركا خاصة تعمل على الأراضي اللبنانية، لأنّ عملية الحرص على اللغة التي حرّثها العولمة بعد انتشار اللغة الإنكليزية إلى لغة جديدة هيبة معلّمة بمفردات فرنسية وإنكليزية والقليل منها عربي، أو كما يقول البعض اللبناني، بدأت تقفد الأجيال الجديدة هويتها الوطنية حين التكتزك بالوطن الأمّ وطغيان اللغات الأجنبية على كل ما يتعلق بالمراسلات والبطاقات والمعاملات والبيانات، وهنا الطامة الكبرى، حين الدولة غافية عن هذا الموضوع المغيث في الدستور، فلا مراقبة ولا محاسبة ولا تنفيذ للقوانين المرعية الإجراء، علماً أنّ لبنان احتقل بيوم الأبدية، واحتفل حالياً بمعارض الكتب المقلّنة، والمهرجانات الثقافية والتربوية المتميّزة. أضف إلى هذا اختفاء اللغة العربية عن لوحات الإعلانات وأوجهات المصلات التجارية والسوبر ماركت والمخازن الكبرى «المولات» والمتاجر الصغرى حتى في الأحياء الشعبية وفي القرى والبلدات والمجبل، إضافة إلى لوائح الطعام في المطاعم والمقاهي والفنادق، التي من المفروض أنّ تكون باللغتين العربية والأجنبية حسب نصوص القوانين الموجودة في وزارة السياحة، التي أصبحت في غياب الرقابة الرسمية كتبت باللغة الإنكليزية فقط.

هذا الفعل اللامسؤول هو استعمار مقفّع، يتسلل بين طهراننا بغفلة من المواطن ومن أهل السياسة في لبنان المشغولين بصفتنا الفنايات، وينهب خزينة الدولة، وإيقاف استخراج البترول والغاز الخاضع للتدابير السياسية القائمة على المنافع الشخصية التي تسقط حقوق المواطن وحقه في العيش الكريم في ظل دولة تحترم صحة ونقاة بيئته، وكل ما هو حق عام لشعب مغلوب على أمره.

3. التعمية على كل نشاط لبناني تميّز بظهر صورة لبنان الإبداع والحضارة، الذي يقوم به مجتهدون من أهل الفكر والقلم، المنذورون للخدمة الطوعية العامّة، الذين أخذوا على عاتقهم إظهار الصورة المشعّنة للبنان عوضاً عن الصور السوداء المستشرية عبر العالم، بين الصفح وسائل الإعلام المرئيّة لا تهتمّ بتسليط الضوء على الأفعال النيرة، وهذا ما أحدث معنأ خلال احتفال «ديوان أهل القلم» الأخير الذي جمّع حشداً جماهيرياً لا يُستهان ضمّ أكثر من 1100 مدعو في القاعة الكبرى في قصر الأونيسكو، خلال تكريم سيدة لبنانية عربية تمكّنت من بناء صرح تروبي متميّز أثبت قدرة المرأة على النجاح والعطاء. فالغرب إنّ قاعة الاحتفال خلت من مصوري محطات التلفزة، حيث المفروض أنهم مسؤولون عن إظهار الصورة المشرقة للبنان العلم والثقافة والفن الرفيع.

لهذا لا بدّ من القول: ما متركب لو التقتّم إلى ما يقوم به أهل الثقافة والفنّ الذين يبرعون في تلميع صورة لبنان الحقيقية، التي غابت زمنأ ليس بالقصير عن الشاشات، وعلنا في «ديوان أهل القلم» كما غريتا من استحضارها، ما من خلال إقامة مهرجان الإبداع اللبناني الأول للعام 2016 في قصر الأونيسكو، بحضور معظم السفراء الأجانب والعرب والمسؤولين بمختلف مواقعهم وتوجهاتهم السياسية أيضا، وخصّص لأمير الشاركين: نائب رئيس جامعة فيلانوفا/ الأميركية، وهو من أصل لبناني، كما وزير التعليم العالي الاردني الباحث الدكتور عمر شديفات، اليس هذا هو وجه لبنان الحقيقي وليس جلي الفنايات وما يتبعه؟

على هامش هذا القول، لا بدّ من إدراج ما حدّثني به صديق من مهرجان الضخم الذي قمتنا به، هو ميندس ناشط بيئي واجتماعي بالقول: قرأت في مجلة Le Point الفرنسية منذ ثلاث سنوات إنصاحاً يحدد أسماء الأشخاص المهيّمين في تاريخ فرنسا، كانت إنصاح كاتالني: الشاعر أمارتين نال 55% والرئيس ارحل شارل ديغول 22% أما الامبراطور نابليون بونابرت العظيم فقد نال 11%... فإين نحن في لبنان من هذه الحقيقة التي يعمل على إخفائها لغاية في نفس يعقوب وفي هذا خسارة كبيرة للبنان!

■ * رئيسة ديوان أهل القلم

«التعليق السياسي»

«التعليق السياسي»